أنتَ والآخرون

بقلم المعلم الأنطاكي الشماس اسبيرو جبور

في العهد الجديد يسوع هو الكرمة ونحن الأغصان. يسوع هو رأسُ الكَنيسةِ، والكنيسة هي جسدُه، ونحنُ الأعضاء، وكلٌّ منّا عضوٌ للآخرين. الروح القدس يسكن في هذا الجسد أي يسكن فينا ويجمع بعضَنا الى بعضٍ، فيُوحِّدُنا.

نحن جميعاً متعاونون. متعاونونَ بحسب النعمة المعطاة لنا وبحسب موهبة كلِّ واحدٍ ليعمل في الكنيسة لخير الكنيسة ولبنيان الكنيسة.

ايضاً نحن بيتُ الله، والله يسكن في هذا البيت، والكنيسة مِلؤهُ وهو الذي يملأُ الكُلّ في الكل.

المسيحيُّون هم جسدٌ واحدٌ متَّحدون بالرأس يسوع المسيح وهم مسكِنٌ للروح القدس. بالإيمان يسكن يسوع المسيح فينا. ونحن الذين إعتمدنا في المسيح قد لبِسنا المسيح فلذلك صِرنا بالإيمان وبالمعمودية أبناءً لله، نصرخ له يا أبَّ الآب.

" أبَّ " كلمةٌ آرامية تُعَلّم للأطفال للتدَلُّل والتوَدُّد على الأب. فاذن، هناك إرتباط وثيق جداً بين المسيحيّين والمسيح، وبين بعضِهم بعضاً. في العهد الجديد ايضاً، نحن شركاءً في آلام الرب ودفنِه وقيامتِه وصليبِه وصعودِه الى السماء وجلوسِه على ميامن الآب ونحن الآن عن يمين الآب في يسوع المسيح.

نجاحُ الأفراد على المستوى الإجتماعي يبقى دائماً محدوداً. ولكن كما قال الربُّ يسوع "خَرجَ زارعٌ ليزرع". فالزَرعُ يُعطي تأثيراتٍ مختلفة بحسب التربة والتربات وهو ليسَ بنوعيةٍ واحدة.

في مثلٍ آخر عن الوزَنات، أخذ أحدُهم خمسة وزنَات والثاني وزنتَين والثالث وزنة واحدة بحسب قُدرةِ كلِّ واحدٍ منهم. البشر نماذجٌ وعددُ نماذِجهم هو عددُ البشر. فكلُّ شخصٍ هو نَموذج خاص، له أصالَته الخاصة وفرادته الخاصة وتربيَته الخاصة، وله فكره الخاص. يبقى الإنجيلُ زرعاً صالحاً يدخل الى الإنسان فيُبدِّلُه بنِسَبٍ، فالله يعلم كيفية التبديل. إنما يبقى العهد الجديد بنعمةِ الروح القدس، قوةً حيّةً فاعلةً تُبدِّلُ كَيان الإنسان جِذرياً بنِسَبٍ مختلفة.

العهد الجديد وحدَه يحوي المبادىء السامية السماوية. يطلب من الإنسان أن يكون ملاكاً في جسد، يطلب من الإنسان أن يقتدي بالله. قال بولس في أفسس " إقتدوا بالله كأبناءٍ أحبَّاء " وقال " إقتدوا بي كما أقتدي انا بالمسيح ". مَن يستطيع أن يقتدي بالله؟ مَن يستطيع أن يقتدي ببولس الرسول مئة بالمئة؟ إن السُلّمُ الى الله ذات مليارات الدرجات. كلُّ إنسانٍ يصعد قدرَ جهودِه. البعض يبلغ السماء، والبعض يبلغ فئة من الدرجات الصاعدة الى السماء.

الله له المجد يُحب الناسَ أَجمعين. الله له المجد إفتدى الإنسان بدم ربِّنا يسوع المسيح. ولكن الى جانب هذا الفداء، طلب من الإنسان أن يُجاهد روحياً وأن يقتني ملكوت الله بجهودٍ عملاقة جبَّارة.

الكمالُ في المسيحية، هو في أن يموت الإنسان شهيداً لله. القديس أفرام وسواه من الآباء العديدين قارنوا بين الشهداء والنُسَّاك وقالوا إن الناسك يموت كلّ يومٍ بينما الشهيد يموت دفعةً واحدةً. أي أن النُسَّاك يُعتبَروا شهداءً ايضاً، والكنيسة تعتبر الآباء القدّيسين اللامعين مساوينَ للرسُل مثل باسيليوس وغريغوريوس ويوحنا فم الذهب، فَهُم معادلون للرُسل.

فاذن هناك أُناسٌ بلغوا الكمال.

والإستشهاد ليس مسألةً طارئةً في تاريخ المسيحية. فعلى الأنترنت إحصاءٌ غيرُ نهائيٍّ يقول إن شهداء الأرثوذكس في القرن العشرين يزيد عن 45 مليون. فماذا نقول عن عدد الشهداء منذ مطلع المسيحية حتى اليوم، منذ إستشهاد استيفانوس؟ هؤلاء هم في السماء عند ربِّهم يتنعمّون بالمجد الأبدي.

ولذلك فالمسيحية تكون في هذا الجَهد الشخصي نحو السماء. الخطيئة مستحكِمة، تشدُّ الحبل حول عنق الناس. ما من إنسانٍ بريءٍ من الخطيئة ولو كان عمره يوماً واحداً كما قال باسيليوس الكبير وسواه. فلذلك نحن مُصابون بجَرَب الخطيئة، بسرطانٍ إسمُه سرطان الخطيئة. ولا شفاءَ لهذا المرض إلا بالروح القدس والإنجيل. لا يستطيعُ إنسانٌ أن يقول انا قضيتُ يومي بدون إرتكاب أيّةِ خطيئة. الإنسانُ المتواضع يعترف بأنه هو في حالةٍ خاطئة طوال 24 ساعة لأنه ليست لدينا لحظات قداسة مئة بالمئة خلال ال24 ساعة. نحن في حالةٍ خاطئة ليلاً ونهاراً ونحن مُطالبون بالتوبة ليلاً ونهاراً، والتوبة في حدِّ نفسِها لا تُجدي نفعاً بدون نعمة الروح القدس.

فالروح القدس له المجد، يشفع فينا فيقبَل توبتَنا ويُكلِّلها بالنجاح والغفران والمسامحة. ولذلك فالتساهل مع الخاطئين هو شيءٌ نسبيٌّ جداً. نتساهل معهم ليتوبوا، لا نتساهل معهم ليستمرّوا في الخطيئة. بولس الرسول علّمَنا في رومية أن لُطف الله يقتادُنا الى التوبة. فاذن، لُطفُ الله لا يعني السماح لنا بإرتكابِ الخطايا، لا يعني لنا أن نتسامح بإرتكاب الخطايا ولا يعني لنا أن نقول للمؤمنين إستمرّوا بخطاياكم. يسوع المسيح له المجد أعطى التلاميذ السلطان ولهم الحق في التوبيخ. ولذلك فخُلفاء الرُسل هم مُخوَّلون بسُلطاتٍ كبيرة ليُربُّوا الناس بالموعظة والتوبيخ، وفَرض أنواعٍ من العقوبات الروحية.

الكلام السخيف الصادر في الغرب عن بعض الجهّات للتسامح مع الشاذِّين جنسياً، هو مرفوضٌ مئة بالمئة. بولس الرسول علّمَنا أن هذه الخطيئة هي خطيئةٌ فاحشة جداً، وسادوم وعامورة أكبر دليل على أن غضب الله معلنٌ من السماء على هذه الفواحش كما قالها في رومية، الفصل الأول.

ولذلك خلفاء الرسل هم ذوو السلطة على المؤمنين ليُحرِّضوهم على الفضائل ولينصحوهم بالكفِّ عن الرذائل. هؤلاء لهم السلطان أن

يحرِموا الشاذِّين جنسياً من تناول القربان. إن يوحنا فم الذهب صرَّح بذلك ونصَحَ الكهنة بأن يمنعوا الخاطئين المعروفين من تناول القربان المقدَّس ولو كانوا ملوكاً وأُمراءً وسادات. فلا يجوز تسليم القربان المقدس الى رافضي التوبة. المطلوب قبل التناول، أن يكون الإنسانُ تائباً نادماً خاشعاً وقد أعطى الوعد القاطع بأنه لن يُكرِّر الخطيئة.

إن أتاك يا كاهن، شاذٌّ جنسياً أو قاتلٌ أو زانٍ أو ما الى ذلك من الخطأة المفضوحين فعليكَ أن تنصحَه بالتوبة والندامة، وعليكَ أن تفرُضَ عليه قوانين التوبة وبعد ذلك تستطيع أن تُناولَه القربان المقدس.

يسوع قال بصراحة مُطلَقة " لا تُعطوا المقدَّسات للكلاب ولا تُلقوا جواهرُكم أمام الخنازير ". لا تُعطَى المقدَّسات للكلاب. هذا نصٌّ الهيٌّ واضح. على الكهنة أن يُطبِّقوه بحرفيَّتِه، على الكهنة أن يتخلّصوا من الخجل في حين التعاطي مع الخاطئين. عليهم أن يُعاملوهم بلطفٍ وموعظة وإرشاد، فالتساهل في هذه المسائل مُضِرٌّ جداً.

إن تساهَلنا مع الخاطئين تمادوا في شرورِهم. فلا يجوز أن ندعَهم يتمادوا في شرورِهم، علينا أن نَعِظَهم.

ولكن، أين الكَهَنة الشُجعان الأبطال الذين يواجهون الأمور ببطولةٍ روحيةٍ نادرة؟ هذا ممكن، ولكن يجب إعداد الكهنة إعداداً راقياً جداً لكي نؤمِّن خَدَماً لله مُخلصين أوفياء شهداء أحياء، يخدمون يسوع المسيح بروحٍ الهية.

انا اعرفُ أن رعاية النفوس هي عسيرةٌ جداً وأن التعامل الوجداني مع الناس عسيرٌ جداً، وأعرف أن الإنفتاح الكامل هو ايضاً عسيرٌ جداً. ولكن الإنجيلُ هو الإنجيل. علينا أن نُطبِّق الإنجيل حتى نصل الى نتائجَ إيجابية. فالناس ذوو ميولٍ لا تُعدُّ ولا تُحصى ولكن التجربة دلّت على أن في الناس ضمائرَ تتحرَّك. فإن لم ننجح مئة بالمئة، فقد ننجح نسبياً والنجاح النسبي مهمٌ جداً. لماذا؟ لأنه من المهم جداً أن يكون بين الناس أُناسٌ قدّيسون يجذبون الله الى الأرض بمراحِمه الالهية التي لا تُحَدُّ ولا تُحصى.

ليس الكُفرُ هو من طبيعة البشر وليس الإلحادُ هو من طبيعة البشر. الشهوات الجسدية والغير الجسَدية تُعوِّجُ طريق الإنسان. في العام 1950 سألنا الأب جيليه عن سبب الإلحاد في اوروبا فقال " ليس من إلحادٍ حقيقيٍ، الشهوات الجسدية هي السبب الظاهر للإلحاد. ولكن

متى طعن الإنسان في السن، فيعود يتذكّر ما جرى ويلتفت الى الأمام، فيتوب كثيرون في أواخرِهم". عدد الذين عادوا الى الله في أواخرهم لا يعلَمه إلا الله. نحن لا نَدين الناس، ولكن نتكلّم كي يَشعُر الناس أن صوتَنا مرتفعٌ، يصرُخ بقوةٍ وينادي المسيحيِّين جميعاً الى التوبة، الى يسوع المسيح لكي يتخلّصوا من كلِّ ضُعفٍ أرضيٍّ ويلتحقوا بالسماوات ويُصبحوا ملائكةً في الجسد.

كان الله في عون المربِّين والأمهات والكهنوت ورجال الدين لكي يؤَدّوا المهمَّة الشاقّة بروحٍ الهيةٍ. وإني أَسأَلُ الروح القدس الاله أن يُنعِمَ عليهم بكلِّ عطاياه السماوية لكي يُربّوا الناسَ أبطالاً في يسوع المسيح له المجدُ والإكرام والسجود الى أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين.